



في ذروة الهجوم الأميركي والغربي من مختلف الأوساط السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية على مرشح الرئاسة الأميركي دونالد ترامب، جاءه المديح الجميل من الرئيس الروسي بوتن، الذي اعتبره «المرشح الأفضل دون منازع في السياق الرئاسي».

بوتن وصف ترامب بأنه «رجل لامع وموهوب من دون أدنى شك»، مضيفاً «لقد قال ترامب إنه يأمل بمستوى جديد من العلاقات بين الولايات المتحدة وروسيا، فكيف لا نرحب بهذا؟ أكيد سنرحب به».

ترامب بدوره رد التحية بمثلها، حيث قال إن «تلقي مجاملات من رجل يحظى باحترام في وطنه، وفي الخارج أيضاً هو دائماً شرف كبير»، مضيفاً «عندما شعور دائم بأنه يجب على الولايات المتحدة وروسيا التعاون في مكافحة الإرهاب وإحلال السلام، ناهيك عن التجارة وغيرها من الفوائد التي نحصل عليها من الاحترام المتبادل».

كان بوسع بوتن أن يؤجل هذا المديح لترامب ريثما تنجلி ضجة الهجوم على تصريحاته المناهضة للمسلمين، وكان الأفضل أن يفعل إذا تم النظر إلى الأمر من الزوايا السياسية والدبلوماسية، لكن المشاعر الحقيقة ما لبست أن فرضت نفسها هنا، فقال الرجل ما قال، مع العلم أنها نتحدث عن زعيم لديه 14 في المئة من سكان بلاده من المسلمين، ويستحقون منه أن يجاملهم، فلا يكيل المديح لرجل يهجومهم، فضلاً عن فضائه الإسلامي في آسيا الوسطى، وحتى لو لم ننصف إلى ذلك كله مشاعر مليار وربع من المسلمين (تجاوزنا عن الشيعة الذي يراه أغلبهم حليفاً عظيماً تبعاً للولي الفقيه في إيران، مع شديد الأسف بالطبع).

نعم، كان بوسعه ألا يفعل ذلك، لاسيما أن أحداً لا يقول إن فرص ترامب في أن يغدو رئيساً كبيرة، حتى لو حصل على ترشيح الحزب الجمهوري، مع أن وجود تلك الفرصة لا تضطر بوتن إلى هذا الموقف المرحج، لكن واقع الحال أن مشاعره غلبة، ولم يكن بوسعه غير الاحتفال برجل التقى معه في مسألة أساسية هي الحرب على المسلمين، فضلاً عن اللقاء في مواقف أخرى تتعلق بسوريا وما تسمى الحرب على الإرهاب.

من الصعب على المحلل السياسي أن يتجاوز الأبعاد الشخصية للزعماء في صناعة السياسة، لاسيما في الدول الدكتاتورية، أو الأخرى ذات الديمقراطية الهاشة، كما روسيا، بينما يتراجع الأمر في الديمقراطيات الراسخة التي تحدد فيها السياسة غالباً من قبل مؤسسات الدولة العميقية، فيما يتراجع التأثير الشخصي للزعماء، خاصة أن الاستراتيجيات الكبرى هي موضع اتفاق غالباً ولا تخضع لأهواء الزعماء المنتخبين.

في روسيا نحن إزاء دولة من العالم الثالث فيما يتعلق بنمط الحكم، فالرجل هو دكتاتور من الناحية العملية، حتى لو جاء عبر آليات ديمقراطية، ومن يراه كيف يسحق معارضيه، فضلاً عن اللعبة التي صاغها مع دميته ميدفيف يدرك ذلك.

البعد الشخصي الذي نتحدث عنه هنا يتعلق بمشاعر بوتن حيال المسلمين، وخاصة الغالبية السنّية منهم، وهي مشاعر لم يعد بالإمكان إخفاؤها، بل هي حاضرة في مجمل سياساته حيال المنطقة، وتحالفة ضد أي أحد يكره الإسلاميين، بصرف النظر عن الموقف منه، وتنذر مثلًا موقفه من الثورة المصرية رغم أنها كانت ضد «عميل أمريكي» وفق التصنيف المعروف، فضلاً عن تونس، بل حتى القذافي الذي كان عشية الإطاحة به قد ذهب نحو تفاهمات واسعة مع أميركا والغرب.

هذا الرجل (أعني بوتن) لديه عقدة مرضية حيال الإسلام والمسلمين، وهي توجه سياساته على نحو ربما يتفوق على المصالح الاستراتيجية بمفهومها التقليدي، ومن يرى كيف تتناقض هذه السياسة مع مصالح روسيا الداخلية، وفي حديقتها الخلفية، وفي العلاقة مع غالبية الأمة الإسلامية يدرك ذلك، وليس صحيحاً أن قاعدة عسكرية في سوريا، بل حتى سيطرة على كل البلد تساوي العلاقة مع غالبية المسلمين، فضلاً عن أن يكون ذلك محض وهم، لأن سوريا لن تكون له ولا لإيران مهما طالت الحرب.

هذا رجل مصاب بهذا الهوس ضد المسلمين، معطوفاً على غرور القوة والغطرسة، وهو أقرب إلى شخصية بوش، والأخير أقرب إلى ترامب، ومن هنا كان اللقاء، لكن النتيجة ربما تتقرب، فكما فشل بوش عندما أعلنتها حرباً صليبية علينا، سيفشل الأخير بعدما أعلنتها حرباً صليبية أيضاً، ولكن برأية أرثوذكسيّة، وليس بروتستانتية كما بوش.

القطريّة العرب

المصادر: